

الحلقة الرابعة والستون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء السابق بعدة أمثال تحدثت عن أهمية مساعدة المتألمين والمظلومين. وأن الذي يفكر بعمل الشر هو إنسان فاسد ومفسد. وأن علينا أن لا نفرح بسقوط عدوّنا، لأن الإدانة والقصاص هما لله وحده. لكن على العكس إن المسيحية تعلمنا أن نعمل لمساعدة عدوّنا.

صديقي المستمع، هل تحب الخصام؟ وهل تسرع إليه؟ كل منا لابد أن صادف أو يعرف بعض الناس الذين يحبون الخصام ويسرعون إليه. ولهذا تراهم في مشاكل دائمة مع من يحيط بهم. وينتهي بهم الأمر إلى القضاء والمحاكم. كتب سليمان الحكيم حول هذا الموضوع قائلاً: "لا تتسرع بالذهاب إلى ساحة القضاء، إذ ماذا تفعل في النهاية إن أخزأك قريبك؟ قم بمناقشة دعواك مع قريبك، ولا تفش سرّ غيرك، لئلا يعيرك السامع، ولا تمحى فضيحتك." (أمثال ٢٥: ٨-١٠)

على الإنسان إذن أن يحاول قدر جهده أن يبتعد عن المشاكل والخصام، وأن لا تصل به الأمور إلى حد الذهاب إلى المحكمة. أي أن يحاول حلّ الأمور بينه وبين خصمه. فمن المحتمل أن لا يأتي الحكم لصالحه، وعندئذ تُهان سمعته لا بل كرامته. لقد تحدّث المخلص المسيح عن هذا الأمر في موعظته الشهيرة على الجبل عندما قال: "كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه في الطريق. لئلا يسلمك الخصم إلى القاضي ويسلمك القاضي إلى الشرطي فتلقّى في السجن. الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفي الفلس الأخير." (بشارة متى ٥: ٢٥ و٢٦)

من المهم جداً إذن أن لا نُسرع إلى مخاصمة الآخرين، بل نحاول قدر الإمكان حلّ المشكلة بيننا وبينهم عن طريق التفاهم. وعندما نبذل كل جهدنا ولا تُحل المشكلة، نذهب عندها إلى القضاء ونحن واثقين أن الأمر سيكون لصالحنا وليس لصالح غريمنا. وهكذا نجنب أنفسنا الكثير من المتاعب.

إن الحديث عن القضاء والمحاكم يقودنا للحديث عن المحاباة في القضاء. لأن المحاباة في القضاء أمر مشين وغير لائق. ولهذا كتب الحكيم قائلاً: "التحيز في الحكم مُشِين. ومن يقول للشرير أنت بريء تلغنه الشعوب وتمتقته الأمم. أما الذين يوبخونه فلهم الغبطة وتحلّ عليهم البركة." (أمثال ٢٤: ٢٣-٢٥) على القاضي إذن أن يكون نزيهاً في حكمه، وأن لا ينحاز إلى أي من الجانبين بل يحكم بالعدل. لأنه عندما يقبض الرشوة من الشرير و يتحيز في حكمه لصالحه، لا بدّ أن يقوم ضده الناس، ويفقد مكانته كقاضي عادل ونزيه. بينما إذا حكم بالعدل على الشرير فإنه سينال رضى الناس وتحل عليه البركة.

وماذا عن شهادة الزور أي شهادة الكذب ضد الآخرين؟ وهذه ناحية مهمة علينا أن ننتبه لها. كتب الحكيم قائلاً: "لا تشهد ضد قريبك من غير داع، فلماذا تنطق شفتاك زوراً؟ لا تقل: سأعامله بمثل ما عاملني. وأجازيه على ما ارتكبه في حقي." (أمثال ٢٤: ٢٨ و ٢٩) أما سليمان الحكيم فقد كتب هذا المثل قائلاً: "شاهد الزور ضدّ قريبه هو مثل مطرقةٍ وسيفٍ وسهمٍ مسنون." (أمثال ٢٥: ١٨) إن الشهادة ضد الآخرين زوراً هو أمر فاسد ولا يجلب علينا سوى العار، وتأثيراته قد تظل دائمة مثل طعنة غائرة. وهذا ما يجب أن نتجنبه، وأن لا نعامل الآخرين بالمثل.

وهذا يقودنا إلى الحديث عن موقفنا الشخصي تجاه مشاكل الآخرين. فهل نكون منصفين ونقول الحقيقة؟ أم ترانا نتغاضى عن كلمة الحق؟ كتب الحكيم قائلاً: "من يُجيب بقول صائب يحظى بالكرامة." (أمثال ٢٤: ٢٦) من المهم أن نكون منصفين وغير متحيزين في حكمنا على الآخرين لكي نحظى بالكرامة.

صديقي المستمع، إذا أردت البدء بأي مشروع فهل تهيء له بشكل صحيح وكامل؟ كتب الحكيم في هذا المجال قائلاً: "أنجز عملك في الخارج وهبىء حقلك لنفسك، ثم ابن بيتك." (أمثال ٢٤: ٢٧) يدعونا الحكيم هنا لكي نهيب كل الوسائل الكافية قبل أن نبدأ بمشروع بناء بيتنا الزوجي. وهذا أمر صحيح مئة بالمئة وينطبق على الواقع الذي نعيشه، إذ علينا أن نعد ونهيب كل شيء، قبل أن نقدم على أي مشروع، وليس مشروع الزواج فقط. وإلا لأصبنا بالخيبة والفشل.

هل تعلم مستمعي أن نفس الأمر ينطبق على إيماننا بالمخلص المسيح وأتباعه؟ قال المخلص المسيح: "من لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً. ومن منكم وهو يريد أن يبني برجاً لا يجلس أولاً ويحسب النفقة هل عنده ما يلزم لكماله. لئلا يضع الأساس ولا يقدر أن يكمل. فيبتدئ جميع الناظرين يهزأون به. قائلين هذا الإنسان ابتدأ يبني ولم يقدر أن يكمل." (بشارة لوقا ١٤: ٢٧-٣٠) لقد شبّه المخلص المسيح الإيمان به وأتباعه بشخص يريد أن يبني برجاً، إذ عليه أن يجلس أولاً

ويحسب حساب النفقة، أي التكاليف الكاملة لهذا المشروع، وإلا لبدأ به وما استطاع أن يُكمل. وتكون النتيجة الخيبة والفشل واستهزاء الناس به.

إن المخلص المسيح هنا يدعونا لكي نحضّر نفوسنا ونحسب حساب الكلفة إذا أردنا أن نؤمن به ونكون من أتباعه. صحيح أن الإيمان بالمخلص المسيح هو أمر واضح وبسيط، لكن على الإنسان في نفس الوقت أن يدرك منذ البداية متطلبات هذا الطريق الذي يريد أن يسلك فيه، وأن يكون مستعداً له. لهذا قال المخلص المسيح أن على الذي يريد أن يؤمن به ويتبعه أن يحمل صليبه كل يوم، أي يعرف مدى الآلام التي سيواجهها نتيجة إيمانه بالمخلص المسيح. أجل، إن طريق الإيمان بالمخلص المسيح ليس طريقاً سهلاً ولا هو مفروش بالورود والرياحين، بل على العكس هو طريق مخوف بالمصاعب والآلام.

إن الإيمان بالمخلص المسيح واتباعه يعني ترك العالم الشرير الفاسد وملذاته. وقد يعني للكثيرين أيضاً مواجهة الأهل والأصدقاء والزملاء والتعرض لإهاناتهم واضطهاداتهم. فهل تراك مستمعي تحسب حساب النفقة أي تكاليف إيمانك بالمخلص المسيح؟ وهل أنت مستعد لحمل الصليب واتباع المسيح يومياً؟ صحيح أن الإيمان بالمخلص المسيح وحمل الصليب يعني التعرض للآلام والاضطهاد، لكنه في نفس الوقت يحرر الإنسان من عبودية الخطية وينقله من الظلمة إلى النور، فيختبر عندها غفران الله وسلامه العجيب وفرحه. فهل أنت مستعد مستمعي أن تؤمن بهذا المخلص الفريد؟